مجلة الحكمة للدراسات الإسلامية
Eissn : …-….. Issn : 2353-043X
المجلد 08/ العـدد 02: (2021)، ص: 46-61

الدولة المثالية في فكر كونفوشيوس

الدكتور: عنتر قجور
جامعة: الجزائر-1- كلية الخروبة للعلوم لإسلامية- الجزائر.

الملخص بالعربية:

عاش كونفوشيوس في عصر اتسم بالاضطراب السياسي، وقليل الأمن، فحاول جاهدا إلى خلق نظام سياسي متكامل يقضى على هذه الاضطراب، ويحقق العدل، والتنمية.

وقد استطاع أن يصل إلى في النهاية مبتغاه، فأوجد لنا نظاما سياسيا أقرب منه إلى المثالية، عاشت الصين بفضله حياة سياسية هادئة، وحياة اقتصادية متطورة، وحياة اجتماعية متناسقة.

ومعالم هذا النظام السياسي يكمن في النقاط التالية:

1-وجود المحبة بين الحاكم والمحكوم

2-إقامة العدل

3-تحقيق المساواة

4-نشر العلم

5-تطبيق تعاليم الدين

6-وجود القيادة الصالحة

7-نشر الأخلاق

8-السيادة الشعبية

-9-البعد عن الحروب والنزاعات.

فإذا وجدت هذه الشروط، أصبحت الدولة صالحة، وتحققت الحياة التي يصبو إليها كل إنسان.

Abstract:

Confucius lived in an era characterized by political turmoil and little security, so he tried hard to create an integrated political system that would eliminate this turmoil and achieve justice and development.

In the end, he was able to reach his goal, creating for us a political system closer to the ideal, thanks to which China lived a quiet political life, a developed economic life, and a harmonious social life.

The features of this political system lie in the following points:
1- Existence of love between the ruler and the ruled
2- Administration of justice
3- Achieving equality
4- Spreading knowledge
5- Applying the teachings of religion
6- Having good leadership
7- Spreading morals
8- Popular Sovereignty
9- Keep away from wars and conflicts.
If these conditions exist, the state will become valid, and the life that every person aspires to be realized.

المؤلف المرسل: عنتر قجور

مقدمة:

اعتقد كثير من الفلاسفة الصينيين أن التحضر يجلب التعاسة والكآبة للإنسان ولهذا، دعوا إلى العزلة وحياة الغابة. ولكن كونفوشيوس خالف هذا المذهب، وقال أن الحضارة وسيلة من وسائل سعادة الإنسان، وأن التجمع غريزة بشرية، وحاجة اجتماعية، ولهذا، سعى إلى خلق نظام سياسي متكامل، يحقق السعادة للإنسان، يكون أساسه العدل، وروحه المساواة.

ونظرا لعمق تفكيره، وغزارة علمه، وكثرة تجابه، فقد استطاع في الأخير أن يبتكر نظاما سياسيا متميزا، عاشت بفضله الصين " حياة اجتماعية متناسقة متآلفة، وأن تبعت في نفوس أبنائها إعجابا شديدا بالعلم والحكمة، وأن تنشر في بلادها ثقافة مستقرة أكسبت الحضارة الصينية قوة أمكنتها من أن تنهض من كبوتها وتسترد قواها من الغزوات المتكررة التي اجتاحت بلادها".[1]

وإلى الآن، ما زالت الصين تغرف من هذه الفلسفة، وتنهل من تعاليمها، بالرغم من التحول الكبير الذي طرأ على سياستها الإيديولوجية، يقول "تشانغ وي وي:"..وتعتمد الصين على تقاليدها القديمة وحكمتها الراسخة في بعض المجالات.ففي مجال الحكم

[1] ول ديورانت قصة الحضارة الشرق الأقصى الصين. ترجمة: محمد بدران. بيروت: جامعة الجيل. تونس: جامعة الدول العربية:دط. دت. ص67/1/4.

السياسي تأتي العديد من الأفكار الرئيسية المستخدمة في الحكم السياسي اليوم من العصور القديمة".[2]

والدولة المثالية هي التي تحقق النظام والسعادة للإنسان في نظر كونفوشيوس، ومن هذا المنطلق عرف الحكومة الصالحة بأنها هي :" التي تعمل على اسعاد رعيتها"[3] وهي التي تتوفر فيها عدة شروط وهي:

1- وجود المحبة بين الحاكم والشعب

اعتقد كونفوشيوس أن أساس نجاح الحكم، هو بمدى عمق المحبة بين الحاكم والمحكوم، ولهذا حث الحكام إلى الاهتمام بكسب قلوب الناس... وهذا لا يتم إلا إذا كانوا هم أنفسهم محبين ومخلصين لشعبهم، يقول كونفوشيوس: "الحاكم طريق عظيم يسعى إليه، فيجب عليه أن يظهر التضحية بالذات والإخلاص ليصل إليه، ولكنه سيفشل بالغرور والتطرف".[4]

ويقول: "لجعل مبدئك يقودك، أن تفعل أفضل ما في وسعك للآخرين، وعند إذن ستكون جديرا بالثقة، كن فاضلا في كل ما تقوله ووجه نفسك اتجاه الصواب عند إذن سوف تعلن من شأن الفضيلة".[5]

ويقول كونفوشيوس:" كان حاكم الماضي ينظرون على حب الشعب على أنه شيء أولى في الحكومة، فبدون حب الناس لا يستطيع الحاكم إدراك ذاته الحقة، وبدون إدراك ذاته الحقة لن يؤسس السلام على الأرض".[6]

والإخلاص لا يظهر فقط في الكلام المعسول، والخطب الرنانة، بل في صدق الأفعال، وجود الخدمات، و المتمثلة في وفرة الطعام، وقوة الجيش، يقول: " من ضروريات السياسة الأقوات الوافية،وذخائر الحرب الكافية،وثقة الرعية".[7]

فإذا توفرت فيه هذه الشروط، حينئذ يمكن لنا أن نطلق عليه "أب الشعب"يقول كونفوشيوس: " عندما يحب الأمير ما يحبه للشعب، أو يكره ما يكره للشعب، فإنه يمكن أن يدعي أبا الشعب".[8]

---

[2] الزلزال الصيني نهضة دولة متحضرة.ترجمة: محمود مكاوي وماجد شبانة.الصين:دار نشر انترناشونال الصينية.دط.2017م.ص88

[3] هـ.ج.كريل.الفكر الصيني من كونفوشيوس إلى ماوتسي تونج.ترجمة: عبد الحميد سليم.مصر: الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر.دط.1971م.ص62.

[4] هالة أبو الفتوح أحمد. فلسفة الأخلاق والسياسة المدينة الفاضلة عند كونفوشيوس.القاهرة:دار قباء. دط.2000م. ص142.

[5] هالة أبو الفتوح أحمد. المرجع نفسه. ص143.

[6] هالة أبو الفتوح أحمد.المرجع نفسه.ص152.

[7] صلاح بسيوني رسلان. كونفوشيوس رائد الفكر الإنساني. دب:دد.دط.دت. ص197.

[8] هالة أبو الفتوح أحمد.المرجع السابق.154-155.

وعلى الشعب أن يبادل حاكمه المخلص نفس الشعور، بالإخلاص له قولا وعملا "سأل "تزولو tzulu" كيف أن نخدم الحاكم؟. قال كونفوشيوس لا تخدعه، كن متأكدا من أنك لم تكن غير أمين معه عندما كنت تواجهه".[9]

عندما سأله أحد الطلاب عما ينبغي أن يكون عليه وسلوك الوزير تجاه حاكمه، أجاب:" يجب ألا يخدعه ،ولكن إذا لزم الأمر، يجب أن يكون صريحا معه".[10]

"وذكر كونفوشيوس ذات مرة لدوق "لو" أنه إذا كانت سياسات الحاكم طالحة، ومع ذلك لم يعارضه أحمد ممن حوله،فإن مثل هذا التراخي كفيل بالقضاء على الدولة".[11]

ولكن هذا لا يجعله نسخة عن سيده، يطيعه طاعة عمياء، بل يكون ولائه الأول للحق، فينصح حاكمه إن انحرف عنه، ويرشده إن لم يصل إليه، يقول كونفوشيوس: "يبدأ الرجل الفاضل بعد أن يفوز بثقة قائده في تقديم النصيحة له اتجاه الأعمال الفاسدة فحسب، حتى لا يشعر القائد بأنه محل انتقاد"[12] وإن تطلب الأمر على الوزير أن يواجه الحاكم بالقوة إذ لم تنفع النصيحة يقول كونفوشيوس:"الرجل الفاضل عندما يكون في منصب السلطة لا يكون متكبرا، وعندما يكون في منصب ثانوي لا يتمرد، وعندما يسود في الدولة نظام أخلاقي واجتماعي فإن ما يتحدث به يكون نافعا للأمة، وعندما لا يسود النظام فإن صمته يضمن له البقاء".[13]

2- **إقامة العدل**: الدولة الصالحة هي التي يكون العدل أساس حكمها، وروح تشريعاتها، وسياسة حكامها، لأن الدولة تدوم وتقوى بالعدل، وتزول و تضعف بالظلم، والحاكم الذي يعي هذه السنة الكونية، ويقيم العدل في دولته، ويتجنب الظلم بكل أشكاله، دليل على نفاذ بصيرته،وكمال عقله، سئل كونفوشيوس: "كيف لمن أراد القيام على شؤون الناس أن يبلغ الحكمة؟، فأجابه: عليه أن يلزم نفسه والناس طريق العدالة والأخلاق".[14]

لأن الناس مفطورة على حب العدل، وعلى حب العادليين، والإنقياذ إليهم بسرعة، مما يسهل لهم مهة إدارة شؤون الدولة،والنهوض بها، قال:"إذا التزم الأباطرة

---

[9] هالة أبو الفتوح أحمد. المرجع نفسه. ص 148.

[10] هـ.ج.كريل.الفكر الصيني من كونفوشيوس إلى ماوتسي. ص65.

[11] هـ.ج.رويل.المصدر السابق.ص65.

[12] نفس المكان.

[13] نفس المكان.

[14] ليوجون تيان وآخرون. محاورات كونفوشيوس.ترجمة:محسن سيد فرجاني.مصر: الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية. دط.2000م. ص 57.

حدود الحق والعدل، انقادت الشعوب راضية طائعة واستتب الأمن ولو بغير قانون، أما إذا جارت وزاغت عن جادة الصواب، انقلبت العامة ناكصة عن الطاعة مشقة لواء العصيان واستقبلت نداء الواجب والقانون بوجوه معرضة وأذان مقطوعة لا تسمع ولا تصغي".[15]

3- تحقيق المساواة: في البداية رأى كونفوشيوس أن الطبقية نظاما عادلا، نظرا لاختلاف قدرات ومواهب الإنسان، ولهذا،دعا إلى الحفاظ عليها، لكن مع الدعوة إلى المساواة في الحقوق، مثل حق التملك، وعدم تركيزها في طبقة معينة، لأن "تركيز الثروة هو السبيل إلى تشتيت الشعب وتوزيعها هو السبيل إلى جمع شتاته".[16]

ومن الأشياء التي شدد على التساوي فيها أيضا حق التعليم، فكل الطبقات الاجتماعية لها الحق في التعلم ونيل المعرفة، ولهذا كانت مدرسته نموذجا واقعيا لهذه الدعوة، فقد كانت تضم كل الفئات الاجتماعية، وكان يقول: "إنني لا يمكن أن أرفض أن أعلم أي أحد حتى لو جاء فقيرا يسعى على قدميه ولا يملك ما يقدمه لي من أجل أكثر من قطعة لحم جاف".[17]ويقول:" في مجال التربية يجب ألا يكون هناك تفرقة طبقية".[18]

وامتدح أحد طلابه من بالرغم من أنه كان يرتدي لباسا مهللا مبطن بالحفاء "أن يقف جنبا على جنب مع أولائك الذين كانوا يرتدون الفراء الثمين،دون أن يتملكه أدنى ارتباك".[19]

فهنا نجد انه وقف موقف الضد من النظام الهندوسي القائم على الظلم، ونزع الحقوق،وحرمة الانتقال من الطبقة الأدنى إلى الطبقة الأعلى،حتى ولو كانت مؤهلاته تسمح له بذلك. يقول:" وعلى ذلك فغن من يتميز بالصفات الأخلاقية العظيمة سينال بكل تأكيد المكان السلمي الذي يليق بهذه الصفات ،كما سينال الرخاء المناسب لأخلاقه..لأن الله إذا وهب الحياة لمخلوقاته ،لا شك يهب هذه المخلوقات من النعم ما يتناسب مع صفاتها، فهو ينمي الشجرة الممتلئة بالحيوية،على حين أنه يطيح بتلك التي قد تطور الفساد إليها ،وعلى ذلك فغن من تحلى بالصفات الخلقية لا شك يتلقى التفويض الإلهي للتاج الإمبراطوري".[20]

---

[15] ليوجون تيان وآخرون. المرجع نفسه. ص 119.

[16] ول ديورانت. قصة الحضارة.1/4/- 63.

[17] صلاح بسيوني رسلان. كونفوشيوس رائد الفكر الإنساني.ص99.

[18] هـ.ج.كريل.الفكر الصيني من كونفوشيوس إلى ماوتسي تونج. ص48.

[19] نفس المكان.

[20] صلاح بسيوني رسلان.المرجع السابق.207.

إلا أن هذا الموقف تغير في نهاية عمره، فآمن بالمساواة المطلقة:"...وبالرغم من تأييد كونفوشيوس للنظام الطبقي إذا انتشر إلى أنه توصل في النهاية بشكل المنطقي في تصور قيام مجتمع إنساني عالمي مثالي أسماء المبدع الأعظم أو الشمائل الأعظم وجعل قوامه المساواة كاملة بين الجميع والمحبة المتبادلة".[21] أي أنه يقول أن المجتمع لما يصل إلى المستوى الذي حلم به، بوصول أصحاب القيم الأخلاقية، والكفاءة العالية، ويطبقون القيم الأخلاقية، وتموت القيم الشريرة، حينئذ يمكن لنا تطبيق المساواة الكاملة.فالنظام الطبقي مرحلة لا بد منها في بداية الإصلاح،تنتهي مهمتها بوصول أصحاب المثل،وسيادة الأخلاق.

4- نشر التعلم: أدرك كونفوشيوس أهمية العلم في حكم الدول وسياسة الشعوب، ولهذا جعله حقا من حقوق الشعب يقول كونفوشيوس: " أوسعوا لهم في العيش والرفاهية، ثم سأله الأمير "فماذا نضع لهم بعد سعه العيش وترف الحياة؟ فرد عليه قائلا: فقهوهم في العلوم والآداب".[22]

كما جعله شرطا أساسيا في تولي المناصب، كونفوشيوس:" إن المتعلمين من أول البسطاء يبدؤون حياتهم بتحصل العلوم والفنون ومبادئ الذوق الرفيع، عبورا إلى الترقي في سلك الوظائف العامة والمراكز الاجتماعية، أما أبناء الذوات فيقفزون مباشرة إلى الوظائف المرموقة والمراكز الاجتماعية المتقدمة وبعدها يتخبطون دروبا ومسالك وعرة، لاكتساب ما فاتهم من علم وفن وذوق أصيل، ولو خيرت لفضلت الذين يبدؤون بالعلوم والفنون".[23]

لأن إدارة الدولة، ليس بالأمر الهين، بل يتطلب علما غزيرا، ومعرفة واسعة، والدول التي تحظى بهذه النماذج الفريدة، ستكون أسعد الدول، أما التي تحرم منها، فإن الخراب مآلها.

5- الالتزام بتعاليم الدين: اتهم كونفوشيوس أنه يزدري الدين أو لم يلقي له اهتماما، أو اتهم بالإلحاد أيضا، لكن من يقرأ أفكاره بتأني وشمولية، يجد خلاف ذلك.

---

[21] أنظر: عمر عبد الحي. الفلسفة والفكر السياسي في الصين القديمة. لبنان: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر و التوزيع.ط.1.1999م. ص 191.

ليوجون تيان وآخرون. محاورات كونفوشيوس. ص120. [22]

23 ليوجون تيان وآخرون. المرجع نفسه.ص97.

وعندما سأله أمير مرة كيف على الحاكم أن يستخدم وزرائه وكيف على الوزراء أن يخدموا الحاكم، أجاب "يجب على الحاكم أن يستخدم وزرائه طبقا لقواعد الطقوس، ويجب على الوزراء أن يخدموا حاكمهم بإخلاص".[24]

وإلى سن الشرائع وفق ما تمليه تعاليم السماء، لأنها أفهم من الإنسان، يقول:"...وإنما أقصد أني تعمقت في علوم أهل الأرض، وحلقت في علوم السماء، فبلغت جذر الحق، وأصل الحقيقية، فلست أجد طريقا موصولا بالفهم إلا بالسموات العلى".[25]

6- القيادة الصالحة: أدرك كونفوشيوس دور القيادة الصالحة في تطور وتأخر الدول، فأكثر من الكلام عليها، وشدد على توفر شروطا كثيرة في الحاكم، تؤهله لتسيير شؤون الدولة. واهم الصفات التي وضعها في ذلك نذكر ما يلي:

أ- القدوة: تأثير استقامة الحاكم على الشعب قوية جدا، تتجاوز فصاحة الكلام،وشدة العقوبات،فيكون كالقديس عندهم، فتكون أفعاله دستورا لهم، وأقواله محفوظة عندهم، وأوامره مسموعة لديهم،يقول كونفوشيوس:" الرعية إذا قدتها بالأحكام وأصلحتها بالعقوبات ستحاول التخلص منها، وهي غير مستحبة من ارتكاب الجرائم، وإذا قدتها بالفضائل وأصلحتها بالآداب تستحي من ارتكاب الجرائم وهي صالحة".[26]، وسألهم أحدهم عن المثل الأعلى في القيام بشؤون الحكم، ما هو هذا المثل وكيف يكون؟. فأجابه: "هو أن تحث مواطنيك على التفاني في العمل وذلك، بأن تجعل من نفسك القدوة والنموذج الأول".[27]

ويقول أيضا "إن الناس يقتدون بالحاكم، فلو صلح حاله صلحت أحوالهم، ولو ساءت أموره ساءت أمورهم، وإذا كانت نيته الصريحة فعل الخير، يصبح الناس أخيارا، إن العلاقة بين الحاكم والمحكومين لشبيهة بالعلاقة بين الريح والأعشاب البرية، فالأعشاب تنحني إذا هبت عليها الريح القوية".[28]

سأله أحد التلاميذ عن طريقة التخلص من اللصوص فأجابه كونفوشيوس: " إن لم يكن الحاكم جشعا طماعا لا يسرق الأفراد ولو بالمكفاءة".[29]

---

[24] فراس السواح. موسوعة تاريخ الأديان. ترجمة: سيف الدين القصير وآخرون.سوريا:دار التكوين للتأليف و الترجمة و النشر.ط4.2017م. ص349.

ليوجون تيان وآخرون. المرجع السابق. ص136-137. [25]

26 صلاح بسيوني رسلان، كونفوشيوس رائد الفكر الإنساني. ص198.

27 ليوجون تيان وآخرون. المرجع السابق. ص117.

28 صلاح بسيوني رسلان. المرجع السابق. ص 200.

29 صلاح بسيوني رسلان. المرجع نفسه. ص199.

وتركيز كونفوشيوس على هذا الشرط، يدل على عمق معرفته بطبائع البشر، وسياسة الدول.

والخلاصة، أن الحاكم عليه أن يملك قلوب الناس، ويسكن مخيلة عقولهم، بأخلاقه العالية، وسيرته المثالية، حتى يقتدي الناس به، ويتبعوه، ويطيعونه، يقول: " عندما يملك الحاكم الفضيلة، فإنه سوف يستحوذ على الشعب ثم يملك الدولة".[30]

فالحاكم القدوة شرط من شروط نجاح الدولة، وعامل من عوامل نهضتها وقوتها، وكلما كان الحاكم صالحا،كان الشعب كذلك، وكلما كان الحاكم فاسدا، كان الشعب على مثل فساده. فالحاكم هو رأس الدولة والشعب هم أعضاؤه، يأتمرون بأمره ويقتدون بأفعاله. سئل على أساس الحكم كيف يكون؟ وما هو؟ فأجاب كونفوشيوس " الحكم كلمة صيغة من معنى الأحكام والضبط والاستقامة بلا عوج، فإن لزمت هذا المعنى ووطدت نفسك عليه، انقادت لك الدنيا بأسرها".[31].

يقول:" إذا استطعت أن تكون حي الضمير وجدير بالثقة، ومخلصا في العمل ومحترما سوف تحقق تقدما رائعا بدون عوائق حتى ولو كنت في أرض البرابرة".[32].

يقول أيضا:" عندما يملك الحاكم الفضيلة فإنه سوف يستحوذ على الشعب ثم يملك الدولة".[33]

وأول ما يجب أن يهتم به الحاكم عائلته، لأنها صلاحها أو فسادها ستؤثر سلبا أو إيجابا على نجاحه أو فشله، يقول: "إن فن القيام بحكم سليم يقتضي أن يكون الحاكم قادرا أولا على إقامة نظام سليم في أسرته، ومن الضروري إذن بالنسبة للشخص الذي ينتمي للطبقة الحاكمة أن ينظم سلوكه الشخصي وتنظيم سلوكه الشخصي يقتضي أن يقوم بواجباته إزاء أقاربه والمتصلين به، ومن ثم إزاء الأفراد الذين ولي أمرهم، ولكي يستطيع أن يقوم بهذه الالتزامات عليه أن يفهم المجتمع الإنساني، وأسس التنظيم الاجتماعي إنما يدرس القواعد الإلهية والقوانين الربانية التي تزود المجتمع الإنساني".[34]

---

[30] هالة أبو الفتوح أحمد. فلسفة الأخلاق والسياسة. ص 141.

31 ليوجون تيان وآخرون. محاورات كونفوشيوس. ص112.

32 ليوجون تيان وآخرون. المرجع نفسه. ص 142.

33 هالة أبو الفتوح أحمد. فلسفة الأخلاق والسياسة. ص141.

[34] صلاح بسيوني رسلان. كونفوشيوس رائد الفكر الإنساني. ص193.

ولان الحاكم الناجح في الأشياء الصغيرة جزما سينجح في الأشياء الكبيرة،والعكس صحيح. ولهذا شدد كونفوشيوس على أهمية توفر هذا الشرط في الحاكم الصالح.

فالتغيير يبدأ من الحاكم، يقول:" إن القدامى الذين أرادوا أن ينشروا أرقى الفضائل في أنحاء الإمبراطورية قد بدءوا بتنظيم ولاياتهم أحسن تنظيم، ولما أرادوا أن يحسنوا تنظيم ولاياتهم بدءوا بتنظيم أسرهم،ولما أرادوا تنظيم أسرهم بدءوا بتهذيب نفوسهم،ولما أرادوا أن يهذبوا نفوسهم بدوا بتطهير قلوبهم،ولما أرادوا أن يكونوا مخلصين في تفكيرهم بدءوا و بتوسيع دائرة معارفهم،إلى أبعد حد مستطاع"[35]

ب- **الحزم:** سياسة الناس تتطلب التوسط بين الشدة واللين، بين الحزم والتراخي، لأن الطبيعة البشرية مختلفة، ولهذا يجب أن تكون صفات الحاكم على مقتضى هذا الاختلاف، قال أحد الحضور وكونفوشيوس يسمع "إذا اتصف الرجل بثبات الفكر وقوة العزم مع ميل واضح في سلوكه إلى التبسط والاعتدال، فهذا ما يشهد له بالكفاءة ليتولى مقاليد الحكم، أما التبسط والتواضع بغير حزم ووعي وجدية فلا يشفعاني بجدارة القيام على شؤون الناس والتزام حد المسؤولية، قال كونفوشيوس الحق ما قاله راينونغ".[36].

ج- **هدوء الطبع**: هدوء الأعصاب من أفضل مزايا القادة، لأن العصبية تفقد التفكير المتزن، مما يؤثر سلبا على تسيير الدولة، وهذا ما قرره كونفوشيوس، حيث قال: "لم نعرف في ما نعهد حاكم استتب له الأمر وضخت له الممالك طائعة راضية إلا الإمبراطور ديستون وحده الذي كان يستطيع أن يجلس إلى عرش إمبراطورية عظيمة وهو هادئ البال مطمئن النفس تاركا للمقادير أعنتها".[37]

د- **مشاركة الناس حياتهم:** الحاكم الذي يشارك الناس حياتهم، يحظى بحبهم، ويكون بصيرا بآلامهم وآمالهم. عكس الحاكم الذي يعيش في البرج العاجي، فإنه سيكون مكروها من شعبه، جاهلا بحاله، يقول كونفوشيوس: "عندما يتصف الإمبراطور بالسماحة ومشاركة الرعية في حياتهم سيفوز بحب العامة وتأييدهم له".[38].7- **تعميم الكفاءة:** وضع الرجل المناسب في المكان المناسب، هو الذي يضمن تطور الدول، ولهذا

---

[35] ول ديورانت. قصة الحضارة.4/1-55.

[36] ليوجون تيان وآخرون. محاورات كونفوشيوس. ص51.

[37] ليوجون تيان وآخرون. المرجع نفسه. ص142

[38] هالة أبو الفتوح أحمد.فلسفة الأخلاق والسياسة.ص142.

شبه كونفوشيوس هؤلاء الأكفاء بالذهب الذي تمتلكه دولة، يقول: "ليس في هذه الدنيا أثمن ولا أنذر من الأكفاء الموهوبين".[39]

جاء الأمير "جين" إلى كونفوشيوس وسأله عن فلسفة الحكم في البلاد، فأجابه:" الأساس هو أن يلزم كل كاهن معبده، وكل شيخ طريقته، فللأمير إماراته وللوزير مكانته، وللوالد مسؤوليته كما على الابن طاعته". [40]

سمع أن حاكما عين على منطقة وهو لا يملك قدرات علمية، فقال كونفوشيوس محتجا على هذا التعيين: "كيف ترشح لهذا المنصب رجلا لم يحصل على مؤهلات علمية كافية وجديرة لأعباء المسؤولية وأنك بذلك تفسد الحاكم والمحكوم فأجاب الأمير زيلو هناك سيجد العمال والموظفين والإدارات الحكومية، والكفاءات المكملة، والآلهة وطقوس المعابد فما حاجته إلى العلوم والشهادات الدراسية؟. فأجابه العلم: لأنه رجل لن تجد على لسانه سوى هذه المراوغة والسمسطة التي تتحدث أنت بها الآن".[41]

من النصائح التي قدمها للحكام "وارفع الجدير مرتبطة عالية أو وأبجله في أرقى المناصب".[42]

فإذا توفرت الكفاءة في الدولة، فإنها ستستمر حتى ولو كان الحاكم ضعيفا أو فاسدا "سأل أحد التلاميذ عن السبب في أن الذوق لينج" لم يفقد دولته رغم ماهو فيه من فساد؟. قال كونفوشيوس "لقد كان تشونج chungshe مسؤولا عن الشؤون الخارجية، و"ونج" مسؤولا عن الشؤون العسكرية ،والكاهن " تو tuo" مسؤولا عن هيكل الأسلاف لماذا إذا يفقد دولته".[43]

وأول ما يجب أن تتوفر الكفاءة فيه الوزير، يقول كونفوشيوس :"دعني أمتلك فقط وزيرا واحدا صادقا ومخلصا، ولا يتظاهر بخصائص أخرى بسيطا وذا عقل مستقيم، وذا نفس سمحة، ويحترم مواهب الآخرين على الرغم من أنه هو نفسه يملكها... مثل هذا الوزير سيصبح قادرا على حماية الشعب وسيحقق الخير للمملكة، ولكن إذا كان الوزير على عكس ذلك فإنه يكون خطرا على الدولة".[44]. فالوزير يشترط عليه أن يكون من الصفوة التي أراد كونفوشيوس تكوينها لحمل أمانة الحكم،ولهذا فشروطه هي شروط

---

39 ليوجون يان. في: المرجع السابق. ص76.

40 ليوجون يان وآخرون. المرجع نفسه.ص111.

41 ليوجون يان وآخرون. المرجع نفسه. ص104.

42 ليوجون يان وآخرون: المصدر السابق. ص117.

43 هالة أبو الفتوح أحمد. فلسفة الأخلاق والسياسة. ص 146.

44 هالة أبو الفتوح أحمد. المرجع نفسه. ص147.

الحاكم،لكن الإخلاص لحاكمه يأتي في مقدمتها،"سأل تزولو tzu lu كيف يمكن أن نخدم الحاكم؟ قال كونفوشيوس :لا تخدعه،كن متأكد من أنك لم تكن غير أمين معه عندما كنت تواجهه".[45] والنصح له:" يبدأ الرجل الفاضل بعد أن يفوز بثقة قائده في تقديم النصيحة له تجاه الأعمال الفاسدة فحسب،حتى لا يشعر القائد بانه محل انتقاده"[46].

8- تطبيق الديمقراطية الشعبية: كان الحكام في العصر القديم، يعتقدون أنهم أنصاف آلهة أو أبناء الآلهة، ولهذا، فمهمة الشعب تكمن في خدمتهم والسهر على راحتهم.

لكن كونفوشيوس قلب هذا المفهوم الظالم الأعوج، وأكد على أن الشعب هو صوت السماء، ولهذا، فهو مصدر السلطة، ومحور وجود الدولة، وخدمته هو الواجب المقدس للحاكم. يقول: "فإنه اعتبر ما تراه السماء وتسمعه ليس شيئا آخر غير ما يراه الشعب ويسمعه، وما يعتبره الشعب جديرا بالثواب والعقاب هو ما تعتبره السماء جديرا بالثواب والعقاب، فهناك اتصال وثيق مستمر بين السماء والشعب، وعلى ما يديرون شؤون الشعب أن يراعوا ذلك ويتدبروه".[47]

ووجود الحاكم مرهون برضاه، فإذا غضب غضبت السماء لغضبه، يقول كونفوشيوس: " إن بقاء الحاكم متوقف على رغبة الله وإرادته فإرادة الله هي إرادة الشعب".[48]

يقول كونفوشيوس :" إن توكيل السماء للحاكم ليس أبديا،وهذا يعني أن الحاكم يظل متمتعا بالتوكيل الإلهي طالما استخدم هذا التوكيل فيما يعود على شعبه بالخير،كما يفقد هذا التوكيل عندما ينتهج سياسة الظلم".[49]

فصوت الشعب هو صوت الله، لا يستطيع الحاكم أن يقف أمامه، أو أن يتحدى إرادته.

والحاكم مطالب أمام شعبه، أن يعرض أعماله على الشعب،ويبرر لهم دوافعه، فالشعب ليس قطيع من الأغنام لا حول لهم ولا قوة، في تسيير الدولة، بل هو الوسيلة

---

[45] هالة أبو الفتوح احمد.المرجع نفسه. ص 147.

[46] نفس المكان.

[47] عمر عبد الحي. الفلسفة والفكر السياسي في الصين القديمة. ص185.

[48] هالة أبو الفتوح أحمد.فلسفة الأخلاق والسياسة.ص151.

[49] صلاح بسيوني رسلان. كونفوشيوس رائد الفكر الإنساني.ص185.

والغاية من وجود الحاكم والدولة، يقول كونفوشيوس:"عندما تقود الشعب للحرب بدون معرفة السبب، فإنما تقودهم للدمار".[50]

فإذا علم الحاكم هذا، سيحترم شعبه،وسيسعى جاهدا إلى كسب محبته، قال:"قبل أن تفقد ملوك أسرة (ستانغ) قلوب الشعب كانوا أحباء الله، فليكن فيما حل ببيت "ستانغ" تدير لكم إن الأمر العظيم لا يسهل دائما الاحتفاظ به".[51]

فالنظام الكونفوشيوسي يمكن أن نشبهه بالنظام "الملكي البرلماني "الذي يقيد سلطة الملك، ويعطي سلطة كبيرة للشعب، حددها كونفوشيوس في المطالبة بحقوقه، وإنهاء مهمة الحاكم الظالم أو العاجز.

فنظام كونفوشيوس في "سلطة الشعب" أقرب للنظام الغربي، الذي يعطي السلطة للشعب في السيادة والتسيير، لكن ليس بتلك الدرجة التي يمتلكها الإنسان الغربي، نظرا لبدائية الفكر الديمقراطي في تلك الفترة،واستحالة تطبيقه بالصورة التي نراها اليوم.

9- طاعة الحاكم: إذا كان الحاكم عليه مسؤوليات تجاه الشعب، فإن له أيضا حقوقا عليه، تتمثل في طاعة القوانين، وفق الواجبات العشر للإنسان: "...أن يكون عطوفا وهو أب، وأن يكون مطيعا وهو ابن، وان يكون رقيقا وهو أخ أكبر، وأن يكون متواضعا ومحترما لغيره وهو أخو الأصغر، وأن يسلك سلوكا حسنا وهو زوج، وأن يكون خيرا وهو حاكم، وأن يتصف بالولاء وهو وزير".[52]

لأن العالم قائم على النظام، وعدم التقيد بالقانون، يسبب الفوضى، ويخرب العمران، ولهذا،كان الالتزام بالقانون، ضروريا لاستمرار وجود الشعب، والحفاظ على مصالحه.

ولأن الطاعة تكون الإنسان الصالح:" عندما يقوم بدور الابن وبالطاعة كشاب، فمن النادر أن تنحرف شخصيته لتنتهك أوامر رؤسائه".[53]

يقول: "سأله أحد الأمراء قائلا: ماذا يقصد بالقول: من أجل أن تحكم الدولة على نحو صحيح لابد أولا من أن تنتظم الأسرة؟ فأجابه كونفوشيوس بقوله: من المستحيل أن يعلم المرء الآخرين بينما هو عاجز عن تعليم وتثقيف أسرته، ولذلك فان الحاكم لا يمكنه

---

[50] هالة أبو الفتوح احمد.المرجع السابق.153.

[51] عمر عبد الحي. الفلسفة والفكر السياسي في الصين القديمة. ص99.

[52] هالة أبو الفتوح. فلسفة الأخلاق والسياسة. ص142.

[53] هالة أبو الفتوح أحمد.المرجع نفسه.ص137.

أن يعلم الشعب دون أن يكون قد علم أسرته، وينبغي أن يتعامل أفراد الشعب مع الأمير أو الحاكم وفقا لفضيلة طاعة الأبناء لآبائهم، كما ينبغي أن يتعاملون مع كبار النبلاء على أساس مبدأ الخضوع للأخ الأكبر، ومن ناحية أخرى يجب أن يتعامل الأمراء والنبلاء مع العامة انطلاقا من عاطفة الآباء تجاه أبنائهم".[54]

والدولة في رأي كونفوشيوس هي الأسرة الكبيرة،وحاكمها هو الأب الذي يحرص على إسعاد أبنائه، ولهذا على الشعب أن يشعر بهذه الأبوة وأن لا يتخلى عنها، عند وجود الزلل القليل من الحكومة بل عليه أن يصبر يحاول الإصلاح ما استطاع حتى يحافظ على الأمن ويتجنب الفوضى التي تجلب الخراب والدمار للجميع.

وأظن أن من أسرار قوة المجتمع الصيني ونجاحاتها المتواصلة ترسيخ مبدأ الطاعة الشاملة في كل ناحية من نواحي الحياة الصينية كطاعة الوالدين، وطاعة الأساتذة، وطاعة المسؤولين، وطاعة الحكام،حتى أصبح نسقا اجتماعيا متعارفا في المجتمع الصيني، أدت إلى خلق مجتمع ترابطي تراحمي تكاملي، مهما سهل في مهمة تطوره وتماسكه.

10- سيادة الأخلاق: حاول كونفوشيوس أخلقة الدولة، لأن الأخلاق هي غريزة روحية في الإنسان أهم من غريزة الأكل والشرب، والدولة إذا كانت ترى أن من واجباتها توفير الأكل والشرب للشعب، فمن باب أولى أن تحافظ على أخلاقه، يقول: " هناك من يظنون أن الأخلاق والفضائل لون من الترف الفكري، والحق أن الشعوب تحتاج إلى الفضائل كحاجتها إلى الماء والنار، أو ربما أشد قليلا، وقد رأيت بعيني كوارث رهيبة بسبب فيضانات عاتية وحرائق متأججة، لشدة ما فاض من ماء أو لهب، ولكني لم أر قط كوارث مفزعة نجمت عن مغالاة في التمسك بالفضائل".[55]

سئل كونفوشيوس "كيف لمن أراد القيام على شؤون الناس أن يبلغ الحكمة ؟، فأجابه: عليه أن يلزم نفسه والناس طريق العدالة والأخلاق، وأن يحترم العقائد بإجلال يتناسب مع وقارها، دون شطط إلحادي أو إيغال متزمت،ثم سأله ثانية: وكيف السبيل إلى مكارم الأخلاق؟، فقال: له: بأداء ما عليك قبل أن تطلب ما هو لك،و بأن تبذل تمام جهد العمل،قبل أن تسعى إلى لذيذ ترف الراحة".[56]

لكن الأخلاق الكونفوشيوسية وسط بين الأخلاق المسيحية والأخلاق المسيحية، فهي أقرب إلى الأخلاق الإسلامية، فهي قائمة على التوسط والاعتدال، فالفضيلة في

---

[54] هالة أبو الفتوح أحمد.المرجع نفسه.ص138.

[55] ليوجون ت ي ان. محاورات كونفوشيوس.ص147-148.

[56] ليوجون ت ي ان.المرجع نفسه.ص57.

تعريف كونفوشيوس تقف في الوسط بين رذيلتين متناقضتين يقول: "لعل الاقتصاد الدائم هو المثل الأعلى للفضائل".[57]

سمع كونفوشيوس أحدهم يقول:"إذا اتصف الرجل بثبات الفكر وقوة العزم، مع ميل واضح في سلوكه إلى التبسط والإعتدال فهذا ما يشهد له بالكفاءة ليتولى مقاليد الحكم، أما التبسط والتواضع بغير حزم ووعي وجدية، فلا يشفعان بجدارة القيام على شؤون الناس والتزام حد المسؤولية، فقال كونفوشيوس:" الحق ما قاله رانيونغ".[58]

ولنبني دولة أخلاقية علينا أن نبني أسرة أخلاقية أولا، لأنها هي الحاضنة الأولى لتربية الأطفال، ولهذا ركز على وجود الأسرة الصالحة القائمة على العلاقة التراحمية.

فإذا وصلنا إلى الإنسان النبيل أو الإنسان الأعلى و الذي لخص صفاته فيما يلي: " هو الإنسان الحكيم والمحب والشجاع والمخوض في دروب الحياة، والذي يقف في خشوع في حضرة السماء، ويستوعب مشيئتها، إنه الإنسان الذي يركز جهوده على المبادئ الأساسية، والذي ليس هاجسه إشباع شهواته أو نشدان الدكة في مكان إقامته، إنه جاد في أعماله حريص في أقواله والذي ليس بالوعاء الذي ينفع لمهمة واحدة فقط، والذي لا يتخذ مواقف مع أو ضد أي شيء بل يتبع ما هو صحيح فحسب، والذي يمارس الاحترام والتبجيل والكرم والاستقامة، وهو الذي يقرأ كثيرا دون أن يخرج آداب السلوك، وهو الذي يصادق الآخرين على أساس الثقافة ويتكئ على صداقتهم".[59]

فكونفوشيوس يخالف أولائك الذين يقولون باستحالة الجمع بين الأخلاق والسياسة كميكيافلي (1469-1527م). يقول:" متسائلا:" ألا يمكن اتخاذ الأخلاق السامية أساسا للحكم؟ أهو أمر يعسر على التطبيق في الواقع ؟ ولئن كانت الحال كذلك، فما نفع المبادئ، وما جدوى الفضائل".[60]

والسؤال، هل نجح كونفوشيوس في خلق سياسة أخلاقية، ومجتمعا أخلاقيا؟. الجواب، لقد وفقد إلى حد كبير ، فالمجتمع الصيني هو من الأكثر المجتمعات تمسكا بالأخلاق، و لهذا،نرى شدة التماسك الاجتماعي فيه،

11-تجنب الحروب: لم يكن كونفوشيوس من عشاق الحروب، بل كان داعية إلى السلامو البناء، و لهذا، يقول كونفوشيوس: عن الحرب بين الولايات" الهجمات

---

[57] صلاح بسيوني رسلان. كونفوشيوس رائد الفكر الإنساني.ص134.

[58] ليوجون ت ي ان. المرجع السابق.ص51.

[59] فراس السواح. موسوعة تاريخ الأديان. ص347.

[60] ليوجون ت ي ان وآخرون. م ت اورات ونفوشيوس.ص39.

المتبادلة بين الولايات، السلب والنهب المتبادل بين البيوت، الإصابات متبادلة بين الأفراد،هذه أحد أهم الكوارث الرئيسية في العالم.لكي لماذا تظهر مثل تلك الكوارث؟ إنها تنشأ عن فقدان الحب المتبادل..."[61]

الخاتمة:

كان كونفوشيوس من الحالميين بعالم يسوده العدل والرحمة، ولهذا، سعى إلى خلق نظام سياسي متكامل، يحقق السعادة للإنسان، ووضع شروط له وهي:

وجود المحبة بين الحاكم والمحكوم، إقامة العدل والمساواة، نشر العلم، الالتزام بتعاليم الدين، القيادة الصالحة، الشعب مصدر السلطة، الابتعاد عن الحروب، نشر القيم الأخلاقية. طاعة الحاكم.

وبفضله، استطاعت الصين أن تحيا حياة سياسة هادئة، وحياة اقتصادية متطورة،وحياة اجتماعية متناسقة، ما زالت إلى اليوم هذه الفلسفة مصدر إلهام،ومنبع تستقي منه الصين تعاليمها ومنهجها في الحياة. ولهذا، نقول إن نهضة الصين الحديثة، كانت للكونفوشيوسية اليد الطولى فيها.

المصادر والمراجع:

1-الزلزال الصيني نهضة دولة متحضرة. تشانغ وي وي . ترجمة: محمود مكاوي وماجد شبانة.الصين:دار نشر انتركونتننتال الصينية.دط.2017م.

2-الفكر الصيني من كونفوشيوس إلى ماوتسي تونج. هـ.ج.كريل.ترجمة: عبد الحميد سليم.مصر: الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر.دط.1971م.

3-الفلسفة والفكر السياسي في الصين القديمة.عمر عبد الحي. لبنان: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر و التوزيع.ط.1.1999م.

4-.أديان العالم.ترجمة: هوستن سميث. ترجمة: سعد رستم.حلب : دار الجسور الثقافية.ط3.2007م.

5- فلسفة الأخلاق والسياسة المدينة الفاضلة عند كونفوشيوس. هالة أبو الفتوح أحمد. القاهرة:دار قباء. دط.2000م.

6- قصة الحضارة الشرق الأقصى الصين. ول ديورانت. ترجمة: محمد بدران. بيروت: جامعة الجيل. تونس: جامعة الدول العربية:دط. دت.

7- كونفوشيوس رائد الفكر الإنساني. صلاح بسيوني رسلان دب:دد.دط.دت.

[61] .هوستن سميث.أديان العالم.ترجمة: سعد رستم.حلب : دار الجسور الثقافية.ط3.2007م.257.

8- محاورات كونفوشيوس. ليوجون تيان وآخرون.ترجمة:محسن سيد فرجاني.مصر: الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية. دط.2000م.

9- موسوعة تاريخ الأديان. فراس السواح.ترجمة: سيف الدين القصير وآخرون.سوريا:دار التكوين للتأليف و الترجمة و النشر.ط4.2017